تحديات التيارات الفكرية المعاصرة وأثرها على المجتمع المسلم (الإلحاد والعلمانية أنموذجاً)

Challenges of contemporary intellectual currents
And its impact on the Muslim community (atheism
and secularism as a model)

م.د. عثمان حسين علوان
كلية الامام الاعظم الفقه واصوله

الكلمات المفتاحية: ((التيارات، الفكرية، التحديات، الالحاد، العلمانية))

الملخص

إن كتابة تاريخ التيارات الإسلامية والغربية يستلزم جمع وتوثيق الروايات والشهادات الشفهية من صدور صانعي الأحداث من قادة أبناء الحركات الإسلامية وإذا كان هذا حتمي بالنسبة لحركات كتب عنها الكثيرون سواء أعداء أو أصدقاء كحركة الجماعة الإسلامية فإن هذا يصير أكثر حتمية بشأن جماعات لا يزال تاريخها وكثير من أسرارها طي الصدور ولم يكتب عنه شيء ذا بال في كتاب مسطور.

وانطلاقًا من هذا المبدأ كانت هذه الوريقات التي أسطر فيها تيارين من التيارات التي تواجه المجتمع المسلم في العصر الحديث.

أسباب اختيار البحث:

وقد وقع الاختيار لهذا الموضوع للأسباب التالية:

١- الوقوف على حقيقة تحديات التيارات الفكرية المعاصرة في الواقع العربي والإسلامي.

٢- التعرف على الآثار السلبية لتلك التيارات على المجتمع المسلم.

٣- الوقوف على مظاهر الخلل في المجتمع الإسلامي التي كانت تلك التيارات سببا في إحداثه.

٤- بيان موقف الإسلام من تلك التيارات.

أهمية البحث:

وتكمن أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

١- إظهار التحديات التي تلعبها التيارات الفكرية المعاصرة في البلدان الأسلامية.

٢- إظهار آثار هذه التيارات على أبناء الأمة الإسلامية في العصر الحديث.

٣- تحذير أبناء الأمة الإسلامية من الأفكار الخبيثة والهدامة التي تحملها هذه التيارات.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

- المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث فيه.
- التمهيد: ويشتمل على مطلبين:

١) المطلب الأول: تعريف التيارات الفكرية لغة واصطلاحا.

٢) المطلب الثاني: التعريف بالألفاظ الشائعة ذات الصلة بلفظ (التيارات الفكرية).

- المبحث الأول: التيار الإلحادي، وفيه ثلاثة مطالب:

١) المطلب الأول: تعريف الإلحاد لغة واصطلاحا.

٢) المطلب الثاني: أسباب ظاهرة الإلحاد.

٣) المطلب الثالث: علاج ظاهرة الإلحاد وسبل الوقاية منها.

- المبحث الثاني: تيار العلمانية، وفيه ثلاثة مطالب:

١) المطلب الأول: مفهوم العلمانية.

٢) المطلب الثاني: العلمانية وشمولية الإسلام.

٣) المطلب الثالث: موقف الإسلام من العلم.

٤)

Writing the history of Islamic and Western currents requires collecting and documenting narratives and oral testimonies from the issuance of event makers from the leaders of the sons of the Islamic movements، and if this is inevitable for movements about which many have written، whether enemies or friends، such as the Islamic Group's movement، then this becomes more inevitable regarding groups whose history and many of its secrets are still inevitable. Chests folded and nothing significant was written about him in a written book.

Based on this principle، these papers were written in which he outlined two currents of the currents facing the Muslim community in the modern era.

Reasons for choosing to search:

This topic was chosen for the following reasons:

1 - Standing on the reality of the challenges of contemporary intellectual currents in the Arab and Islamic reality.

2 - Knowing the negative effects of these currents on the Muslim community.

3 - Standing on the defects in the Islamic society that were caused by these currents.

4 - Explaining Islam's position on these currents.

research importance:

The importance of this research lies in the following points:

1 - Show the challenges that contemporary intellectual currents play in the Islamic countries.

2 - Show the effects of these currents on the children of the Islamic nation in the modern era.

3 - Warning the sons of the Islamic nation against the malicious and destructive ideas that these currents carry.

Search Plan:

The research includes an introduction، an introduction، two articles and a conclusion، as follows:

Introduction: It contains the importance of the topic، the reasons for choosing it، and the method for researching it.

Introduction: It includes two requirements:

1) The first requirement: Defining intellectual currents in language and idiom.

2) The second requirement: Definition of common expressions related to the word (intellectual currents).

The first topic: the atheistic trend، and it has three demands:

1) The first requirement: Defining atheism in language and idiomatically.

2) The second requirement: the causes of the phenomenon of atheism.

3) The third requirement: treatment of the phenomenon of atheism and ways to prevent it.

The second topic: the secular trend، and it includes three demands:

1) The first requirement: the concept of secularism.

2) The second requirement: secularism and the universality of Islam.

3) The third requirement: Islam's position on science.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخلق أجمعين، وعلى آله الطيبين الطاهرين ،وأصحابه الأئمة المهديين ،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد..

فإن أغلب من يكتبون عن التيارات الفكرية المعاصرة؛ لا يكلفون أنفسهم جهداً في جمع معلومات كافية، وموثقة عن التيارات المختلفة، بل إن الكثير منهم لا يكاد يعتمد على معلومات أصلا، اللهم إلا مما استقاه من مصادر ليست موثقة غرضها التشهير وحسب، كلا الفريقين الإسلامي، والغربي؛ كثيرا ما يكتبان ما يبعث على السخرية والضحك فمن فرط خيالاتهما، وبعدهما عن الحقائق لدرجة أن طال التخيل أسماء التيارات، وأفكارها الأساسية فتجد التيار يصدق ما أطلق عليه، من أسماء فيذهب لينقسم على نفسه، ويألف تيارا بحسب ما أطلق عليه.

إن البحث في تاريخ التيارات الإسلامية، والغربية يستوجب جمع، وتوثيق الروايات، والشهادات الشفهية من لدن صدور صانعي الأحداث ومن ممثلي الحركات الإسلامية، وإذا كان هذا حتمي، بالنسبة لحركات كتب عنها الكثيرون سواء أصدقاء أو أعداء كحركة الجماعة الإسلامية؛ فإن هذا يصير أكثر حتمية، بشأن جماعات لا يزال تاريخها، وكثير من أسرارها محفوظ في الصدور، ولم يكتب عنها شيء ذي بال في كتاب مسطور.

ومن هذا المبدأ كانت انطلاقتنا في هذه الوريقات التي أسطر فيها تيارين من التيارات التي تواجه المجتمع المسلم في العصر الحديث وهما الالحاد والعلمانية.

أسباب اختيار البحث:

وقد وقع الاختيار لهذا الموضوع للأسباب التالية:

١- الوقوف على حقيقة تحديات التيارات الفكرية المعاصرة في الواقع العربي والإسلامي.

٢- الوقوف على مظاهر الخلل في المجتمع الإسلامي؛ التي كانت تلك التيارات سببا في إحداثه.

٣- التعرف على الآثار السلبية لتلك التيارات، على المجتمع المسلم.

٤- بيان موقف الإسلام من تلك التيارات.

أهمية البحث:

وتكمن أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

١- إظهار التحديات التي تلعبها التيارات الفكرية المعاصرة في البلدان الأسلامية.

٢- تحذير أبناء الأمة الإسلامية من الأفكار الخبيثة والهدامة التي تحملها هذه التيارات.

٣- إظهار آثار هذه التيارات على أبناء الأمة الإسلامية في العصر الحديث.

منهج البحث:

يعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، لتوضيح، وتحليل آراء واتجاهات التيارات الفكرية، ويعتبر بعض الباحثين أن المنهج الوصفي يشمل كافة المناهج الأخرى، باستثناء المنهجين التاريخي والتجريبي، حيث إن عملية الوصف، والتحليل

للظواهر؛ تكاد تكون مسألة مشتركة، وموجودة في كافة أنواع البحوث العلمية؛ ويعتمد المنهج الوصفي على تفسير الوضع الحالي؛ أي: ما هو كائن، وتحديد الظروف، والعلاقات الموجودة بين هذه المتغيرات، كما يتعدى المنهج الوصفي مجرد جمع بيانات، وصفية حول الظاهرة، إلى التحليل، والربط، والتفسير لهذه البيانات، وتصنيفها، وقياسها، واستخلاص أبرز النتائج منها.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

- المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث فيه.

- التمهيد: ويشتمل على مطلبين:

١) المطلب الأول: تعريف التيارات الفكرية لغة واصطلاحا.

٢) المطلب الثاني: التعريف بالألفاظ الشائعة ذات الصلة بلفظ (التيارات الفكرية).

- المبحث الأول: التيار الإلحادي، وفيه ثلاثة مطالب:

١) المطلب الأول: تعريف الإلحاد لغة واصطلاحا.

٢) المطلب الثاني: أسباب ظاهرة الإلحاد.

٣) المطلب الثالث: علاج ظاهرة الإلحاد وسبل الوقاية منها.

- المبحث الثاني: تيار العلمانية، وفيه ثلاثة مطالب:

١) المطلب الأول: مفهوم العلمانية.

٢) المطلب الثاني: العلمانية وشمولية الإسلام.

٣) المطلب الثالث: موقف الإسلام من العلم.

التمهيد

ويتضمن مطلبين:

- المطلب الأول: تعريف التيارات الفكرية لغة واصطلاحا.

الطلب الثاني: التعريف بالألفاظ الشائعة ذات الصلة بلفظ (التيارات الفكرية).

المطلب الأول

تعريف التيارات الفكرية لغة واصطلاحًا

أولا: التيارات الفكرية لغة:

التيارات: جمع تيار، وهو الموج السريع أو حركة سطحية في ماء المحيط، تتأثر باتجاهات الرياح؛ ويقال قطع عِرقاً تيَّاراً، أي سريع الجرْيَةِ. وفعل ذلك تارةً بعد تارةً، أي مرَّةً بعد مرَّةٍ، والجمع تارات وتير، وهو مقصور من تيار: إذا رمى بدمه، وهو من الماء[1].

والفكر: مصدر مشتق من الفعل الثلاثي فكَرَ، والفاء والكاف والراء: تردد القلب، وتأمله، والفكرية نسبة إلى الفكر: وهو تردد القلب في الشيء، يقال:

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م (٢/ ٦٠٣). جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط١، ١٩٨٧م، (٢/ ١٠٣١).

فكر في الشيء، وتفكر فيه، ورجل فكير: كثير الفكر، وأيضًا: ما وقع بخلد الإنسان، وقلبه[1].

ثانيًا: التيارات الفكرية اصطلاحًا:

التيار الفكري في الاصطلاح: هو اتجاه فكريّ له منهج وطريق يرسمها له عقول المنتمين إليه والمنادين به[2]، أو هي الحركة المندفعة كالموج، تكتسب صفة الشمولية والجماعية؛ فتنتقل عبر الاشخاص، وعبر حامليها الى أكثر من مكان[3].

يتبين مما سبق للتعريف اللغوي، والاصطلاحي: أن التيار هو مجموعة من الآراء، والنظريات الفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطًا منطقيًّا حتى صارت ذات، وحدة عضوية منسقة، ومتماسكة، وتنسب هذه الآراء والنظريات إلى الفكر؛ «لأنها جاءت من ذلك المصدر، وهو الفكر، أي أنها لم تستند في وجودها على الوحي الإلهي أصلا، أو استعانت به وبما توصل إليه الفكر من نتائج أو عن التجارب، أو أقوال من سبق أو أفعالهم»[4].

وهذا الاتجاه الفكري يأتي في مقابل اتجاه آخر يتخذ من قيم الإسلام ومبادئه معياره الوحيد في النظر والحكم؛ ومن النص النقلي مرجعه النهائي في التدليل والإثبات، فهو ليس بحاجة إلى أن يستوحي عناصر فكرية مستقلة، من خارج أصول النص القطعي، للاستعانة بها لتبرير فكرته والتدليل عليها[5].

ومما سبق يمكن الاجتهاد بالقول بأن التيارات الفكرية تتكون من حركات فكرية تنتهجها مجموعات أو أفراد التي تتبنى توجهاً معين أو فكر محدد؛ بهدف تغير نظام قائم مع ما يحتويه من محددات اجتماعية واقتصادية وسياسية، وانشاء نظام أخر جديد .

المطلب الثاني

التعريف بالألفاظ الشائعة ذات الصلة بلفظ (التيارات الفكرية)

وهي أربعة ألفاظ: الحركة، التنظيم، الحزب، الجماعة.

أولا: الحركة:

الحركة لغة: الحاء والراء والكاف أصل واحد، وهي ضد السكون، وحَرَكَ إذا منع الحق الذي عليه. والحركي: ما ينسب للحركة، وبه حراك[6] وحركته فتحرك، والحَرَكة مفرد جمعه حَرَكات، وهي مصدر

(١) ينظر: مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان (ت:٢٩٥هـ)، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، (ص ٧٠٤)، جمهرة اللغة، (٢/ ٧٨٦)، لسان العرب لابن منظور مادة (فكر).

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، (١/ ٣٠٦).

(٣) ينظر: التيارات السياسية في إيران ١٩٨١ – ١٩٩٧م، سعيد برزين، ترجمة: علاء الرضائي.

(٤) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية – جدة، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، (١/ ٤٢).

(٥) ينظر: التيارات الفكرية وإشكالية المصطلح النقدي، سلطان سعد القحطاني، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، (ص٥٣).

(٦) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (حرك). و القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة (حرك).

حرُكَ حَرَكَة[1].

الحركة اصطلاحا: في لغة السياسة: هي التيار العام الذي يدفع طبقة من الطبقات أو طائفة اجتماعية معينة إلى تنظيم صفوفها بهدف القيام بعمل موحد؛ لرفع الحالة الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية؛ وكل مظهر عام من مظاهر النَّشاط، كحركة احتجاج على ارتفاع الأسعار، أو، فكريّة، تحرريّة، نقابيّة، سياحيّة- حركات بهلوانيّة»، وحركة ثوريَّة: تجمع يسعى إلى تحقيق تحولات مهمة، يهدف إلى إحداث تغيير في التَّفكير والآراء أو التَّنظيم الاجتماعيّ أو النِّظام السِّياسيّ[2].

ثانيًا: التنظيم:

التنظيم لغة: لفظ النظام في اللغة يطلق على عدة معان؛ منها الجمعُ، والعادةُ، والتأليفُ، والهدي، والسيرةُ، والطريقُ. فنقول: ليس لهم نظان أي: ليس لهم طريق يسيرون منظم، والانتظام الاتساق، يقال: نظم: النَّظْمُ: التأْليفُ، نَظَمَه يَنْظِمُه نَظْماً ونِظاماً ونَظَّمَه فانْتَظَمَ وتَنَظَّمَ. ونَظَمْتُ اللؤْلؤَ أَيْ جَمَعْتُهُ فِي السِّلْك، والتَّنْظِيمُ مِثْلُهُ، وَمِنْهُ نَظَمْتُ الشِّعر ونَظَّمْته، ونَظَمَ الأَمرَ عَلَى المَثَل. وكلُّ شَيْءٍ قَرَنْتَه بِآخَرَ أَوْ ضَمَمْتَ بعضَه إِلَى بَعْضٍ، فَقَدْ نَظَمْته. والنَّظْمُ: المَنْظومُ، وَصْفٌ بِالْمَصْدَرِ. والنَّظْمُ: مَا نظَمْته مِنْ لؤلؤٍ وخرزٍ وَغَيْرِهِمَا[3].

التنظيم اصطلاحًا:

مجموعة من الناس ذوي الاتِّجاه الواحد، والمبادئ المشتركة، والنظرة المتماثلة، متفقين على هدف واحد، فيما يتعلَّق بالبرامج والمبادئ السياسيّة، ويرتبطون ببعضهم وفقًا لقواعد تنظيميّة مقبولة من جانبهم تُحدِّد علاقاتهم وأسلوبهم ووسائلهم في العمل والنشاط أسست عمداً لغرض السعي لتحقيق اهدافهم عن طريق الجهد المتواصل والمشترك لأعضائها[4].

ثالثا: الحزب: الحزب لغة: الحزب: جماعة الناس، والجمع أحزاب كل طائفة هواهم واحد، والحزب: النصيب، والحزب: الصنف من الناس. قال ابن الأعرابي: الحزب: الجماعة. والحزب: الطائفة. والأحزاب: الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء، عليهم السلام[5].

وخلاصة الكلام في الدلالة اللغوية للأحزاب هي التكتل والتجمع، أو الانقسام، والاختلاف، والشدة،

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، (٤/ ١٥٧٩)، معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، (٢/ ٤٥).

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، (١/ ٤٨٠)، المعجم الحديث للتحليل السياسي، جيفر روبرت، ترجمة: سمير عبد الرحيم، (ص:٢٧٤)

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (٥/ ٢٠٤١)، لسان العرب لابن منظور، مادة (نظم) (١٢/ ٥٧٨).

(٤) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، (٣/ ٢٢٣٥)، المعجم الحديث للتحليل السياسي (ص٢١٩).

(٥) ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة (جمع) (١ / ٣٠٨). القاموس المحيط (ص: ٩٨٠)

والغضب، والتفرق.

الحزب اصطلاحا: هو تنظيم سياسيّ له فلسفة، ومنهاج مُعيّن يدعو إليه ويلتزم به لتحقيق أهدافه؛ فالحزب هو أداء لتنظيم الممارسة السياسية والمشاركة بين الطبقات المحكومة والطبقات الحاكمة؛ كحزب العمَّال وحزب المحافظين في بريطانيا وحزب الاستقلال في المغرب والحزب الاسلامي وحزب الدعوة في العراق والحزب الوطنيّ الدِّيمقراطيّ في مصر «الحزب الحاكم» والحزب الواحد[١].

والحزب: هو إيديولوجيا يتجمع من خلالها جمع مؤمن بها بهدف نشرها بطريقة منتظمة[٢]

أي أن العناصر الأساسية لأي حزب هي: الايدلوجيا أو المعتقد سواء كان معتقداً ثقافياً، دينياً، او اقتصاديا، أم كلها معاً، والعنصر البشري والعنصر التنظيمي، والمادي[٣].

رابعا: الجماعة:

الجماعة لغة: الجماعة في اللغة من الاجتماع، وهو ضد التفرق، يقال: جمع الشيء عن تفرقة فاجتمع، وجمعت الشيء إذا جئت به متفرقا، وأجمع أمره أي: جعله جميعًا بعدما كان مشتتا، والجمع اسم لجماعة من الناس، المجتمعون على أمرٍ ما. ومن الإجماع: وهو الاتفاق، يقال أجمع أهل العلم أي أتفقوا، وقد تستعمل الجماعة في غير الناس حتى قالوا: جماعة الشجر، وجماعة النبات[٤].

الجماعة اصطلاحا: هي فِرقة من النَّاس (دينيّة، وطنيّة، فلسفيّة، مهنيّة)، يجمعها غرض واحد، مثل: أهل السنّة والجماعة، جماعة الإخوان المسلمين [٥] وقيل: جماعة المسلمين المجتمعين على قول واحد في اصول المسائل الشرعية الواقفين موقفاً واحداً من كبرى القضايا الإسلامية[٦].

❊ ❊ ❊

المبحث الأول
تيار الإلحاد، ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول
تعريف الإلحاد لغة واصطلاحا

أولا: الإلحاد للغة:

اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة، يقال: مالَ، وعدل، وماری، وجادل، وجار، وظلم[٧] ولحد الرجل في الدين لحداً، وألحد إلحاداً:

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية. د. لقمان إسماعيل عبد الفتاح، (ص:٩٤)
(٢) موسوعة عالم السياسة، جان ماري رانكان، ترجمة محمد عرب، (ص: ٢٣ / ١١٩).
(٣) ينظر: سبيل القاصد للحكم الراشد: الاستاذ فددي شامية، (٣/ ٢) .
(٤) لسان العرب، (٨/ ٥٣).
(٥) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، (١/ ٣٩٥).
(٦) القول السديد شرح جوهرة التوحيد للإمام ابراهيم اللقاني، تحقيق علي عثمان، دار الكتب العالمية، ١٩١٧م (ص١٥)
(٧) القاموس المحيط (ص:٤٠٤)،.

طعن[١]، وألحد الرجل إذا مال عن الطريق، والتحد إلى الشيء؛ أي: لجأ إليه ومال[٢]. إن كلمة الالحاد تارةً تؤخذ من فعل ثلاثي (لَحَد يُلْحِد لَحْدا) وتارة تؤخذ من أصل رباعي (أَلْحَد يُلْحِد إلْحادا) وَالْجَمْعُ أَلْحَادٌ ولحُود. والمَلْحود كَاللَّحْدِ صِفَةٌ غَالِبَةٌ؛ قَالَ: حَتَّى أُغَيَّبَ فِي أَثْناءِ مَلْحود[٣].ونستطيع أن نقول: (ألحد فلان، ولحد، وإلتحد) بمعنى واحد هو الإنحراف عن الوسط والمَيْلُ عَنِ القصْد والعدول عن الحق. فالملحد هو المنكر لوجود الله تعالى حسب الاصطلاح المتداول.[٤] وعلى هذا فلفظ الالحاد في اللغة يعني الميل، والظلم، والعدول عن الاستقامة أو الدين، أو الحق، وهو معناه في القرآن الكريم[٥].

ثانيًا: الإلحاد اصطلاحا: الإلحاد هو: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، فيدّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت. ومما لا شك فيه أن كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة إلحادية عارمة جسدتها الشيوعية المنهارة والعلمانية المخادعة[٦].

قال شيخ الاسلام[٧]: « الإلحاد « يقتضي ميلا عن شيء إلى شيء بباطل «[٨].

ولم يكن الالحاد في التاريخ الانساني ظاهرة بارزة، ذات تجمع بشري، أو مذهباً مدعماً بمنظمات ودول، وإنما كان ظاهرة فردية شاذة، وربما اجتمعت عليه فئات قليلة، ولكن انتشر الالحاد منذ القرن التاسع عشر، حيث صيغت العلوم الانسانية وجذور العلوم البحتة، على أسس الالحاد بالله، والتغيرات المادية[٩].

المطلب الثاني: أسباب ظاهرة الإلحاد

إن الاعتقاد بوجود الله تعالى، هو الفطرة التي فطر الناس عليها، أما الالحاد فهو طارئ على الفطرة، لذلك تتمحور ظاهرة الإلحاد؛ في عدة اسباب أدت لظهور الإلحاد؛ منها ما هو قديم، ومنها ما هو حديث، ومن أبرز هذه الأسباب:

- الصراع القديم في أوربا بين العلم والكنيسة:

من الأسباب التي أدت إلى ظهور الإلحاد في العالم

(١) ((المصباح المنير (٢/ ١٠٦).
(٢) ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (٣/ ١٨٣)، لسان العرب، (٣/ ٣٨٨)، معجم مقاييس اللغة، (٥/ ١٩٠).
(٣) ((ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: ٢/ ٥٣٤، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، أبو العباس، (ت ٧٧٠هـ):٢/ ١٠٦.
(٤) [٤] ينظر: الالحاد للمبتدئين د. هشام عزمي ١٨.
(٥) الصحاح ٢/ ٥٣٤، وانظر: العين٣/ ١٨٢ - ١٨٣، لسان العرب٣/ ٣٨٨ - ٣٨٩.
(٦) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة غالب عواجي (ص٤٢٢).
(٧) ((: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ٣٨٦). سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢٢/ ٢٨٨).
(٨) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٢/ ١٢٤).
(٩) ينظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني: ص٤١١.

هو الصراع المخترع الذي اخترعته الكنيسة في العصور الوسطى مع العلم، وكان ذلك في عصر انفجر فيه بركان العقلية في أوروبا، وحطم علماء الطبيعة والعلوم سلاسل التقليد الديني، فقامت قيامة الكنيسة، وقام رجالها المتصرفون بزمام الأمور في أوروبا وكفَّروهم واستحلوا دماءهم وأموالهم، ولقد بالغت الكنيسة في الصراع مع العلم حتى أقامت محاكم التفتيش للعلماء والمفكرين، ورمت كل من خالف ليس فقط الكتاب المقدس وإنما تفسيرات الكتاب المقدس التي هي قابلة للصواب والخطأ - بالكفر وعاقبته، فقتلت ثلاثمائة ألف من البشر، وحرقت منهم اثنين وثلاثين ألفا أحياء ومن بينهم برونو سنة ١٥٩٨م؛ لأنه قال بدوران الأرض، وعذبت كوبر نيكس وجاليلو؛ لأنهما ناديا بنفس الفكرة، فهذا الجو هو الذي مهد الطريق لقبول الناس للفكر الماركسي الذي ينادي بالإباحية لكل شيء[1].

ولا شك أن هذا الجو الخانق للفكر، وللعلم هو الذي أدى بالناس إلى أن يخرجوا على تعاليم الكنيسة، وأن يعادوها ويسلكوا طريقا آخر يختلف تمام عن طريقها حتى ولو كانت الدعوة إلى إنكار الأديان والإيمان بالله . احتكرت الكنيسة حق تسيير كل شؤون الحياة وقد أطلق المؤرخون على الفترة الواقعة بين القرن الرابع وحتى العاشر الميلاديين عصر الظلام، كما يطلق المؤرخون على الفترة التي تليها أي العصور الوسطى عصر الجهالة وعم ظلم الكنيسة للبسطاء الذين كانت تفرض عليهم الضرائب الباهظة وإذا عجزوا عن أدائها تقوم الكنيسة باسترقاقهم وتبقيهم في الخدمة لها، وكانوا يتهمون العلماء بالسحر والزندقة إذا قالوا بآراء علمية تخالق آراء رجال الكنيسة[2].

- ظهور مدارس فلسفية تدعو للإلحاد:

ظهر الإلحاد كمدارس فلسفية تزين القول للناس، وتحاول أن تقنعهم بهذا الفكر الإلحادي الذي يسعى لإنكار الحقيقة الثابتة في هذا الكون، ومن هذه المدارس:

١) البرجماتية: وأما البرجماتية: يقتضي بيان مفهوم البرجماتية؛ معرفة أصل اشتقاق هذه الكلمة، فهي اسم مشتق من الكلمة اليونانية برجما؛ وتعني «العمل»، أمّا عن مفهوم البرجماتية بشكل خاص فقد عرفّها ديوي بأنّها: «فلسفة معاكسة للفلسفة القديمة التي تبدأ بالتصورات، وبقدْر صدق هذه التصورات تكون النتائج، أمّا البرجماتية: فهي تدع الواقع يفرض على البشر معنى الحقيقة، وليس هناك حقّ أو حقيقة ابتدائية تفرض نفسها على الواقع[3].

(١) ينظر: السرطان الأحمر، عبد الله عزام، مكتبة الأقصى - عمان، ط١، ١٩٨٠م، (١/ ٥).

(٢) ينظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم - دمشق، سوريا، ط٥، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، (ص٢٧).

(٣) ينظر: البرجماتية ـــ نشاءتها واثرها على سلوك المسلمين. د. احمد بن عبد الرحمن الشميمري، ٢٠٠٢م، (ص١٢٦). بتصرف. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصر، (٢/ ٨٣٢)، الجانب الأخلاقي في التشريع الجنائي الإسلامي، الراعي محمد أبو المكارم، (رسالة ماجستير)، كلية الدعوة - جامعة الأزهر، (ص١٩)، (د.ت).

٢) الداروينية: هو مذهب يتكلم عن النشوء والارتقاء، ويرى أن أصل الحياة خلية كانت في مستنقع آسن قبل ملايين السنين وقد تطورت هذه الخلية ومرت بمراحل منها القرد انتهاء بالإنسان(١).

٣) الشيوعية: وهي مذهب فكري يقوم على الالحاد وإنكار الخالق ويعتبر المادة هي أساس لكل شيء، وقد وضع أسسه الفكرية والنظرية (كارل ماركس) اليهودي الالماني عام (١٨١٨م - ١٨٩٣م)(٢).

٤) الوجودية: وهي مذهب فكري يقوم على الالحاد وإنكار الخالق ويعتبر الوجود الانساني هو المشكلة الكبرى، والتجربة الانسانية هي منبع المعرفة وأساس البحث عندهم، ومن أبرز زعمائها المعاصرين جان بول سارتر الفيلسوف الفرنسي (١٩٠٥م)(٣).

المطلب الثالث: علاج ظاهرة الإلحاد وسبل الوقاية منها

- تعريف الناس بمنطق القرآن العقلي:

إن القرآن الكريم حينما خاطب الناس لم يخاطبهم الخطاب العاطفي الذي لا يحاور العقل، وإنما خاطبهم الخطاب العقلي الذي عجزوا عن الرد عليه؛ وطلب منهم النظر في الكون أولًا قبل الإيمان حتى يؤمنوا عن قناعة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾(٤) ثم ناقش هؤلاء الذين ينكرون وجود الخالق الذي خلقهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾(٥)(٦).

وهذا المنطق العقلي يقول: كل موجود لابد له من موجد، وكل حادث لابد له من محدث، تحدى الله الإنسان وبيّن له أنه يجهل ما في نفسه(٧).

- تجديد الخطاب الشرعي وترسيخ الحضور القرآني لأجل التعامل مع هذه النازلة العقدية، وأساسها العكوف على كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، تلاوة وتدبرا لما فيه من تأثير مبهر في النفس، وله القدرة العجيبة في استنطاق الفطرة الربانية داخل الإنسان، والله جل علاه يقول: ﴿ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ ﴾(٨)(١)

- وقال ﷺ ((خَلَّفْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابُ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصر، (٢/ ٩٢٥).
(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العلمية للشباب الإسلامي، اشراف وتخطيط ومراجعة: د.مانع عبد جماد الجهني: ٢/ ٩١٩.
(٣) الموسوعة الميسرة: ص٢/ ٨١٨.
(٤) سورة يونس: (الآية:١٠١)
(٥) سورة الطور: الآية (٣٥)
(٦) ينظر: الأصلان في علوم القرآن، محمد عبد المنعم القيعي، دار التوحيد - مصر، ط٤، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، (ص٣٥٤)، علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح - دمشق، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، (ص٢١٢).
(٧) ينظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، (ص٩٩)، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ، (١/ ٧٠٣).
(٨) (١) آل عمران من الآية ١٠١.

الْحَوْضَ)) [1][2]، قال: شيخ الاسلام (رحمه الله تعالى) « فَكُلُّ مَنْ لَمْ يُنَاظِرْ أَهْلَ الْإِلْحَادِ وَالْبِدَعِ مُنَاظَرَةً تَقْطَعُ دَابِرَهُمْ لَمْ يَكُنْ أَعْطَى الْإِسْلَامَ حَقَّهُ وَلَا وَفَى بِمُوجِبِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَلَا حَصَلَ بِكَلَامِهِ شِفَاءُ الصُّدُورِ وَطُمَأْنِينَةُ النُّفُوسِ وَلَا أَفَادَ كَلَامُهُ الْعِلْمَ وَالْيَقِينَ.»[2][3]

- التربية العقائدية والأخلاقية:

لابد من الاهتمام بالتربية العقائدية وغرس محبة الله ورسوله في نفوس الناشئة، فهذه التربية هي التي تجعل بينهم وبين الإلحاد سداً منيعاً، هذه التربية هي مسئولية الحاكم باعتبار أنه الراعي، ومسئولية الآباء والأمهات تجاه الأبناء[3]؛ فقد بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن المجتمع الإسلامي ليس فيه أحد يخلوا من المسئولية؛ فقال: «كلكم راع ومسئول عن رعيته...»[4].

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني: تيار العلمانية

ثلاثة مطالب:

المطلب الاول: مفهوم العلمانية

هذا التيار الذي نحن بصدد الحديث عنه هو تيار «العلمانية» ظهر هذا المصطلح الغربي في أوربا منذ القرن السابع عشر وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر وانتقلت بشكل أساسي إلى مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر، أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين والذي يوحي ظاهره أن طريقة الحياة التي يدعو إليها تعتمد على العلم وتتخذه سنداً لها ليخدع الناس بصواب الفكرة واستقامتها وقد أوصلهم ذلك البعد إلى البعد عن الدين بعداً واضحاً[5].

أولا: العلمانية لغة:

- (العلماني) نِسْبَة إِلَى الْعلم بِمَعْنى الْعَالم وَهُوَ خلاف الديني أَو الكهنوتي[6]، ويمكن القول بان المعنى الاصح لترجمة معنى كلمة العلمانية هو الدنيوية أو الى الاهتمام بالحياة الدنيا وصرفهم عن الآخرة[7] . العلمانية: مذهب يُخرج الاعتبارات الدينية من العلاقات المدنيَّة والتعليم العامّ «دولة عَلْمانيّة»[8]. «علماني: عالمي، دنيوي، لاديني، ليس من رجال الدين»[9].

(١) سنن الدار قطني. رقم الحديث ٤٦٠٦ ٥٤٤٠
(٢) مجموع الفتاوى. ابن تيميه (٢٠/ ١٦٤).
(٣) ينظر: التربية العقائدية: محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم: للدكتور: محمد حاج عيسى (ص:٣٧).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب: العبد راع في مال سيده، (٣/ ١٥٠)، رقم (٢٥٥٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، (٣/ ١٤٥٩)، رقم (١٨٢٩).
(٥) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠هـ، (٢/ ٦٧٩).
(٦) ((المعجم الوسيط (٢/ ٦٢٤)
(٧) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، (ص:٤٤٥).
(٨) معجم اللغة العربية المعاصرة، (٢/ ١٥٤٥).
(٩) تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد

لفظة (العلمانية): لم توجد لفظة العلمانية في معاجم اللغة العربية القديمة، وإنما وردت في بعض المعاجم الحديثة، وهي من الألفاظ التي لها أكثر من مدلول، وهي ذات تاريخ طويل، وقد انتقلت مع الزمن من معنى إلى معنى آخر، وقد حاول من ترجمها عن اللغات الغربية إخفاء حقيقتها، حتى لا تصدم الحس العربي وتبقى في نطاق العلم، هو نطاق يرد عنها عادية الاتهام، ويبقي هدفها الحقيقي مختفيًا وراء اللفظ المشتق من أقرب الأسماء إلى نفوس العرب والمسلمين[1].

أطلقت: هذه التسمية في أوربا، كان الذي يُقْصَد منها عندهم، حسب ترجمتها الصحيحة: فصلُ السياسة عن الدين، أو الفصل الكامل بينها وبين الحياة الاجتماعية، على أساس أنه لا يجتمع الدين مع العلم بزعمهم[2].»

ثانيًا: العلمانية اصطلاحًا:

هي دعوة الى اقامة الحياة بمعزلاً عن الدين، وهي في الاصطلاح لا علاقة لها بكلمة العلم والمذهب العلمي[3]. تعريف العلمانية في المصادر الغربية:

أولاً: التعريف في المعاجم الأوربية:

١. علمانية (secularist) ما يهتم بالدنيوي أو العالمي كمعارض للأمور الروحية، وبالتحديد هي الاعتقاد بالدنيويات.

١. العلماني (secularist) وهو ذلك الشخص الذي يؤسس سعادة الجنس البشري في هذا العالم دون اعتبار للنظم الدينية أو اشكال العبادة.

١. علمانية ((secularity أو (secularism) أي محبة هذا العالم، أو ممارسة أو مصلحة تخص على الإطلاق بالحياة الحاضرة .

١. يعلمن secularity)) يجعله علمانياً، يحوله من مقدس إلى دنيوي، أو من راهب إلى دنيوي.

١. علماني (secular) ما يختص بهذا العالم لسلطة الكنيسة، مدني أو غير روحاني، أو مالا يهتم بالدين، أو ما ليس بمقدس[4].

١. وفي بيان معنى كلمة (secular) في معجم أكسفورد :

١. دنيوي أو مادي، ليس دينياً ولا روحياً، مثل التربية اللادينية، والفن والتربية الموسيقى اللادينية والسلطة اللادينية، والحكومة المناهضة للكنيسة.

٢. الرأي الذي يقول: إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية[5]

سَليم النعَيمي – جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام – الجمهورية العراقية، ط١، ١٩٧٩م/ ٢٠٠٠م، (٧/ ٢٩١).

(١) ينظر: سقوط العلمانية، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (ص٧)، (د.ت).

(٢) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، (٢/ ٦٨١).

(٣) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (ص:٣٦٧).

(٤) ينظر: معجم اللغة البريطانية العالمية (٣/ ١١٣٨)، (العلمانية وموقف الإسلام منها) (ص٢-٣). العلمانيون والقرآن: صلاح يوسف، جامعة الازهر (ص: ٣٩).

(٥) معجم أكسفورد (ص٨٤٩-٨٥٠)، معجم وبيستر (ص:٢٠٥٣)، جذور العلمانية، احمد فرج، (ص١٠٩-١١٢)

تنوعت التعريفات الاصطلاحية (لتيار العلمانية)، ومن هذه التعريفات:

- العلمانية هي: «عنوان لاتجاه هدفه النظر بعين واحدة، هي عين البحث العلمي بالوسائل الإنسانية، وطمس عين العلم الأخرى التي تقتبس المعرفة من الدين»[١].

- العلمانية مذهب هدَّام يُرَاد به فصل الدين عن الحياة كلها وإبعاده عنها، أو هي إقامة الحياة على غير دين، إمَّا بإبعاده قهرًا، ومحاربته علنًا كالشيوعية، وإمَّا بالسماح به وبضده من الإلحاد، كما هو الحال في الدول الغربية التي تسمِّي هذا الصنيع حرية وديمقراطية»[٢]

- العلمانية: «هي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيدًا عن الدين وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم»[٣].

ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني فصل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه حبيسًا في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه، ومن ثم فالنظام العلماني يرفض قيام الدولة على دعائم الدين، كما يرفض كل نظام أو قيمة تنسب إلى الدين من قريب أو من بعيد. ومن هذا يتضح بان العلمانية لا علاقة لها بكلمة العلم، وانما علاقتها قائمة بالدين على أساس سلبي، هو حجب الدين عن مجالات الحياة: الاقتصادية والسياسية، والفكرية، والاجتماعية[٤].

ثالثًا: أسباب ظهور العلمانية:

اولاً: عاش المجتمع النصراني اقتصادا ظالما متناقضا غاية التناقض منهم نخبة - الحاكم والرهبان - في الثريا، ومنهم قسم - بقية الشعوب - في الثرى لا يملكون إلا ما يسد رمقهم في أحسن الظروف[٥] تحت سيطرة طغاة رجال الدين الكنسي، وطغاة الحكام، الذين وصلوا في الطغيان، وضروب الخرافات إلى ما لا يتصوره العقل من التجبُّر، والتناقض، والظلم الفادح، واستعباد الناس، وإذلالهم، والفقر المدقع، ومحاربة كل فكر يخالف ما هم عليه[٦].

ثانياً: التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

ثالثًا: الاستئثار بالسلطة من خلال إلغاء الثنائية بهدم الكنيسة والدين كتمهيد لا بد منه للوصول إلى «السلطة المنفردة» في القرن التاسع عشر[٧].

المطلب الثاني: العلمانية وشمولية الإسلام

(١) كواشف زيوف، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم - دمشق، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، (ص١٦٢).
(٢) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، (٢/ ٦٨٣).
(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/ ٦٧٩).
(٤) ينظر: أضواء على الثقافة الإسلامية، (ص٢٢٧).
(٥) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة - الدرر السنية (١/ ١٦٣)
(٦) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، (٢/ ٦٩٠).
(٧) ينظر: أضواء على الثقافة الإسلامية، (ص٢٢٩).

لقد جاء الدين الإسلامي بالأسس المتكاملة والنّظام الكامل الذي يقوم عليه المجتمع المسلم، وهو نظام يمتاز بالشمول والواقعيّة، ويضمن سير الحياة فيه على وجه يحقق العدل والأمن والحياة الكريمة لكافّة أفراده، كما يمنحهم الفرصة بالمشاركة في التنمية الحضارية، مما يدفع المجتمع إلى مستوى رفيع من الإنتاج الاقتصاديّ والزراعيّ والتجاريّ والصناعيّ، وفي كافة المجالات[1].

وبهذا يحصل التّوازن في سعي النّاس في المجتمع المسلم بين قيامهم بمتطلبات العبودية التي من أجلها خلقوا، وبين كدحهم في استثمار واستغلال ما سخّره الله لهم على الأرض طلباً للرزق ومتطلبات الحياة[2].

وهم في سيرهم في كلا الأمرين يُحكمون بمنهج ونظام رباني يسترشدون به في كل ما يأتون أو يذرون، فيأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم، ويباعدهم عن سبل الضلال وظلمات الجاهلية[3].

ومصطلح العلمانية الذي يراد من ورائه؛ فصل الدين عن حياة البشر وعن تصرفاتهم، وحبسه داخل دور العبادة يخالف الدين الإسلامي ويحجم دوره تماما، والذي يرفض قيام الدولة على دعائم الدين، ويرفض كل نظام أو قيمة تنسب إلى الدين من قريب أو من بعيد[4] يخالف تماما شمولية الإسلام التي جاء بها الوحي القرآني[5]؛ يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

يقول تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[6] وهذه العبادة التي أمر الله الناس بها «هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[7]؛ فالعبادة تشمل العبادات القلبية، كالمحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، وتشمل العبادات القولية كالذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقراءة القرآن، وتشمل العبادات الفعلية كالصلاة والصوم، والحج، وتشمل العبادات المالية، كالزكاة، وصدقة التطوع، وتشمل كذلك الشريعة كلها، فإن العبد إذا اجتنب المحرمات، وفعل الواجبات والمندوبات والمباحات مبتغيا بذلك وجه

(١) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، (٢/ ١٢٥٩).

(٢) ((أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية
الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م (ص٥٤١) .

(٣) ينظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، (٢/ ٥٤١).

(٤) ينظر: أضواء على الثقافة الإسلامية، (ص٢٢٧).

(٥) ينظر: معركة النص، فهد بن صالح العجلان، مركز البيان للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٣٤هـ، (٢/ ٥٤).

(٦) سورة البقرة: الآية :٢١

(٧) العبودية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط١٧، ١٤٢٦ه/ ٢٠٠٥م، (ص٤٤).

الله تعالى كان فعله ذلك عبادة يثاب عليها[1].

وهذا يعني أن شريعة الإسلام بناء متكامل يشد بعضه بعضًا، وبتر بعض الشريعة كهدم بعض البناء، إن لم يؤد إلى هدمه كله، فعلى الأقل يعجزه عن أداء وظيفته كاملة؛ لذا فهي لا تقبل التجزئة شرعًا؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- جعل الإسلام هو هذه الشريعة المتكاملة، وبتر جزء، أو استبدال غيره به، لا نستطيع معه أن نقول إنه هو الإسلام الذي رضيه لنا الله؛ يقول تعالى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[2][3].

المطلب الثالث: موقف الإسلام من العلم

ليس في الإسلام صراع أو خصام بين الدين والعلم، كالذي حدث بين الكنيسة ورواد الفكر الغربي في عصر النهضة، بل إن الإسلام على العكس من ذلك فيه انسجام تام بينهما، ودعوة جادة من الإسلام للعلم والتعليم[4]؛ يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ويقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[5]. فالإسلام يؤاخي بين العلم والدين، ويجعل الدين علما، والعلم رائدا هاديا إلى الدين، وكلمة العلم وما يشتق منها من أكثر الكلمات دورانا في القرآن الكريم؛ فقد ورد ذكر العلم ومشتقاته أكثر من ثمانمائة وعشرين مرّة في الكتاب الكريم.

فالعلم هو رسالة الإسلام، وبالعلم يَعرف الإنسان ربه وخالقه، وما يجب عليه من ولاء لله واستقامة على أوامره واجتناب لنواهيه، حيث لا يكون عمل إلا عن علم[6]، وفضيلة الإسلام الكبرى أن يفتح للمسلمين أبواب المعرفة، ويحثهم على ولوجها والتقدم فيها، وقبول كل مستحدث من العلوم على تقدم الزمن، وتجدد أدوات الكشف، ووسائل التعليم، وليست فضيلته الكبرى أن يقعدهم عن الطلب، وينهاهم

(١) ينظر: تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، دار العصيمي للنشر والتوزيع، ط٢، (د.ت).

(٢) سورة المادة الآية (٤٩).

(٣) ينظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشه - محمد شريف الزيبق، دار الوفاء، ط٣، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، (ص٢٤٢).

(٤) ينظر: العلمانية وموقف الإسلام منها، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ، (ص٣٦٨).

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (١/ ٨١) رقم (٢٢٣)، والدارمي في سننه، باب في فضل العلم والعالم (١/ ٣٦١) (٣٥٤)

(٦) ينظر: الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، (ص٩٢).

عن التوسع في البحث والنظر؛ لأنهم يعتقدون أنهم حاصلون على جميع العلوم[1].

من أجل هذا لا يتصور في ظل منهج الإسلام أي ضرب من ضروب النزاع بين الدين والفكر أو العلم، كمثل ما عرفت أوروبا من نزاع طويل مرير بين العلماء، وبين رجال الكنيسة، ذلك النزاع الذي انتهى في بعض أطواره إلى سيطرة نزعة الشك، وإن فرض الواقع أن ظل رجال الدين في مواقعهم، يتلهون باستعراض صور تاريخهم الذي اتسم بالقسوة والعنف، وممارسة ضروب الاضطهاد والإيذاء للعلماء والمفكرين إلى حد القتل والإحراق، والتعذيب والحرمان، لكل من جاء بآراء ونظريات لم تحظَ بقبولهم، بسبب تناقضها مع أوهامهم وخرافاتهم[2].

لماذا نرفض العلمانية

- أن الشرع لله ابتداء، وأن شريعة الله هي العليا .. وأن مقتضى ذلك ألا يكون معها شريعة أخرى، وإلا فمعنى ذلك هو الشرك، واتخاذ الآلهة مع الله، والعبادة للأرباب المتفرقين.

- إن الأنظمة العلمانية التي تقوم على فصل الدين عن الدولة، والتحاكم إلى إرادة الأمة بدلاً من الكتاب والسنة، هذه الأنظمة تفتقد الشرعية، وموقف المسلم منها يتحدد في عبارة واحدة (إنه يرفض هذه الأنظمة، ويرفض الاعتراف لها بأيّ شرعية).

- إن العلمانية يحكم في ظلها الانظمة الرسمالية، وينتج عنها ظواهر اغتراب، وفقدان انتماء، فيؤدي ذلك إلى استنزاف الطاقات، وضياع الجهود، وفساد عريض .. ولذلك فلا بد من اسلمة العلمانية، ويتولى أولوا الألباب قيادة الأمة، فيكون ميلاداً جديداً للأمة الإسلامية، التي تستطيع أن تثب الوثبة القوية، وتنطلق الانطلاقة الواسعة، وتحطم الأغلال التي وضعها الأعداء على الفكر الإسلامي[3].

❊ ❊ ❊

الخاتمة

وقد خرجت الدراسة ببعض النتائج نعرضها على النحو الآتي:

١) الثقافة الإسلامية الأصيلة هي الثقافة التي تجعل من القرآن الكريم، ومن سنة رسول الله ﷺ وإجماع علماء الأُمة، مرجعها الأساسي الذي تعود إليه لصياغة أفكارها ومبادئها.

٢) يجب على الدعاة والمؤسسات أن تدعم وتُهيأّ مدارس فكرية اسلامية وفلسفية لتكون في مقابل هذه المدارس ويتم دعمها بنفس آليات إعلام هذه المدارس.

٣) تواجه الأمة الإسلامية موجا عاتيا من التيارات

(١) ينظر: الفلسفة القرآنية، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، (ص١٨)، (د.ت).

(٢) ينظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، ط١٥، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، (ص٢١٩).

(٣) ينظر: لماذا نرفض العلمانية لمحمد محمد بدري ص٨٥ - ٨٦ بتصرف.

الفكرية الهدامة الغريبة عنها؛ مما يستلزم الدفاع عن الأصول الثقافية، الثوابت الإيمانية لهذه الأمة.

٤) إن الإلحاد، يطلق على كل ظلم وجور، والميل عن العدالة، والانحراف، والتحريف بكل الأوجه، ثم من هذا المنطلق شاع استعماله في إنكار وجود الله جل علاه؛ حتى أصبح عند إطلاقه لا يفهم منه إلا معنى هذا المعنى - إنكار وجود الله تعالى- .

٥) أن أكثر ما ساعد العلمانية على التغلغل في المجتمعات الإسلامية هو أولئك الذين وضعوا أقدامهم بين الغرب والشرق والمتسترين بغطاء الدين الحنيف الذين هم أبعد ما يكونون إليه.

٦) إن العلمنة ليست فقط رؤية غير إسلامية للوجود، بل إنها تقف موقفاً مناهضاً للإسلام نفسه، ولذلك فالإسلام يرفض العلمنة ومآلاتها النهائية ما ظهر منها وما بطن، يرفضها نظراً وعملاً لأنها الدنيوية المحضة، والدهرية الخالصة، والمادية المطلقة، وهي مقولات جاء الإسلام لمحاربتها، وإنقاذ الإنسان من ظلماتها وأزماتها.

٧) ونختم بالقول: إن الأسلمة، وليست العلمنة هي التي تحرر الإنسان من الأساطير والخرافات، والأرواح الشريرة، والشعوذة التي يُظَن أنها تتحكم في مصير الكون، ذلك أن الإنسان بما هو كائن مادي يغلب عليه نسيان طبيعته الحقة، فيجهل هدفه الحقيقي الذي من أجله خُلق، وبالتالي يزيغ عنه .

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

١. أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢. أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٣. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشه - محمد شريف الزيبق، دار الوفاء، ط٣، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤. الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، (ص٩١).

٥. الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، عبد المنعم محمد حسنين، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٦. الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، عبد المنعم محمد حسنين، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٧. الأصلان في علوم القرآن، محمد عبد المنعم القيعي، دار التوحيد - مصر، ط٤، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٨. أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف

العمري، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٩. أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
١٠. انبعاث الإسلام في الأندلس، علي بن محمد المنتصر بالله الكتاني، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
١١. بناء شخصية الطفل المسلم، محمد عثمان جمال، الدار الشامية - دمشق، ط١، (د.ت).
١٢. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، دار الكتب العلمية - بيروت، (د.ت).
١٣. تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، دار العصيمي للنشر والتوزيع، ط٢.
١٤. تطور الفكر التربوي، أحمد وسعد مرسي، عالم الكتب - القاهرة، ط١٠، ١٩٨٦م.
١٥. تفسير ابن أبي زمنين، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
١٦. تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
١٧. تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي - جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية، ط١، ١٩٧٩م/ ٢٠٠٠م.
١٨. التيارات الفكرية وإشكالية المصطلح النقدي، سلطان سعد القحطاني، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
١٩. الجانب الأخلاقي في التشريع الجنائي الإسلامي، الراعي محمد أبو المكارم، (رسالة ماجستير)، كلية الدعوة - جامعة الأزهر، (د.ت).
٢٠. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٢١. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر آباد، الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
٢٢. ذيل طبقات الحنابلة، زين الدين السلامي، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان - الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
٢٣. السرطان الأحمر، عبد الله عزام، مكتبة الأقصى - عمان، ط١، ١٩٨٠م.
٢٤. سقوط العلمانية، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ت).
٢٥. سقوط العلمانية، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ت).
٢٦. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٢٧. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨م.

٢٨. سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقيق: نبيل هاشم الغمري، دار البشائر - بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م،

٢٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٠. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣١. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٢. صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم - دمشق، سوريا، ط٥، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٣٣. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة - الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٤. العبودية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط١٧، ١٤٢٦ه/ ٢٠٠٥م.

٣٥. العلمانية وموقف الإسلام منها، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ.

٣٦. العلمانية وموقف الإسلام منها، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ.

٣٧. العلمانية وموقف الإسلام منها، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ.

٣٨. العلمانية، الليبرالية، الديمقراطية، الدولة المدنية في ميزان الإسلام، جمع وترتيب: اللجنة العلمية بجمعية الترتيل بإشراف: محمد عبد العزيز أبو النجا، ط٣.

٣٩. العلمانية، الليبرالية، الديمقراطية، الدولة المدنية في ميزان الإسلام، جمع وترتيب: اللجنة العلمية بجمعية الترتيل، بإشراف: محمد عبد العزيز أبو النجا، ط٣.

٤٠. علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح - دمشق، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٤١. الغزو الفكري، ممدوح فخري، الجامعة